

التعدد اللغوي وانعكاساته على العملية التعليمية-التعليمية بالمغرب

Le multilinguisme et ses implications pour le processus d'enseignement-apprentissage au Maroc

سارة الشادلي*1

1 كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة ابن طفيل (المغرب) sarayours551@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2021/10/19 تاريخ القبول: 2021/11/15 تاريخ النشر: 2021/12/31

ملخص:

إن ظاهرة التعدد اللغوي هي ظاهرة طبيعية عرفت لها اللغات منذ أقدم العصور، ولا تكاد تخلو منها أية دولة أو مجتمع، فهي سمة ملازمة للمجتمع البشري، بحيث يصعب الحديث عن مجتمع أحادي اللغة. ففي كل المجتمعات تتعايش اللغات الطبيعية المختلفة، والمجتمع المغربي لا يشكل استثناء، فقد تعايشت عبر تاريخه حضارات عريقة. وقد اتخذت هذه الظاهرة اللغوية بالمغرب مظاهر عدة: المظهر الأول هو ما يعرف بالازدواجية اللغوية- استعمال المتكلم نظامين لغويين مختلفين لغة معيارية ولغة عامية-، والمظهر الثاني هو ما يسمى بالثنائية اللغوية-وهي إتقان المتكلم للغتين (عربية معيارية- فرنسية أو انجليزية)-، والمظهر الأخير يتمثل في ظاهرة الاقتراض اللغوي-استعارة ألفاظ من لغات أخرى-، وقد كان لهذه الظواهر حضوراً قوياً في أوساطنا اللغوية داخل المجتمع المغربي، حيث خلفت أثراً عظيماً على مستوى العمليات التواصلية على وجه العموم، والعمليات التعليمية-التعليمية على وجه الخصوص.

كلمات مفتاحية: التعدد اللغوي، الازدواجية اللغوية، الثنائية اللغوية، الاقتراض اللغوي.

Abstract: Le phénomène du multilinguisme est un phénomène naturel que les langues connaissent depuis l'antiquité, et partiquement aucun état ou société n'en est dépourvu. C'est une caractéristique inhérente à la société humaine dans la mesure où il est difficile de parler d'une société monolingue. Dans toutes les sociétés différentes langues naturelles coexistent, et la société marocaine n'en fait pas exception, car des civilisations anciennes ont coexisté tout au long de son histoire. Ce phénomène linguistique au maroc a pris plusieurs manifestations: le premier aspect est ce que l'on appelle le bilinguisme- le locuteur utilise deux systèmes linguistiques différents, la langue standard et la langue familière-. Le deuxième aspect concerne aussi le bilinguisme- on vise ici la maîtrise de deux langues (arabe standard- français ou anglais) par le locuteur. Et le dernier aspect est le phénomène d'emprunt linguistique- emprunt de mots à d'autres langues- et ces phénomènes avaient une forte présence dans nos cercles linguistiques au sein

de le société marocaine, car ils ont créé un grand impact sur le niveau des processus de communication en general, et des processus d'enseignement-apprentissage en particulier.

Les mots clés: le multilinguisme; le bilinguisme; l'emprunt linguistique.

مقدمة:

لقد عرف المغرب منذ أقدم العصور حراكا سياسيا واقتصاديا بفضل موقعه الاستراتيجي واتصاله بمختلف التيارات والحضارات، لذلك كان محل أطماع الغزاة الفرنسيين والإسبان، وهذا ما خلف طبقات اجتماعية مختلفة إضافة إلى سكانه الأصليين الأمازيغ (البربر)، وأثر بشكل كبير على اللغة المغربية، لأن المستعمر فرض لغته ترك بصماته وعمل على تدمير الهوية المغربية، هذه العوامل خلفت ما يسمى بظاهرة التعددية اللغوية.

وفي ظل هذا الطرح جاءت هذه الدراسة لتسلط الضوء على هذه الظاهرة اللغوية وما يرتبط بها، والإجابة عن الإشكالات الجوهرية التالية:
ما هو التعدد اللغوي؟ وما هي أسبابه وعوامله؟ وما مظاهره؟ وأين تتجلى انعكاسات ظاهرة التعدد اللغوي على العملية التعليمية التعلمية؟ وهل هذه الظاهرة اللغوية تؤثر بشكل إيجابي أو سلبي على المتعلم أثناء تعلمه للغة العربية؟

1- التعدد اللغوي: المصطلح والمفهوم

إن مصطلح التعددية اللغوية يشير في الأدبيات اللسانية العامة إلى وضعيات تواصلية لغوية مختلفة، أي استعمال أكثر من نظام لغوي واحد داخل المجتمع، أو قدرة المتكلم على الحديث بأكثر من لغة.

لقد تعددت وتباينت تعاريف التعددية اللغوية عند الباحثين اللسانيين، فالفاسي الفهري قد أشار في هذا الصدد إلى مسألة التعددية اللغوية قائلا: إن المجتمعات اللغوية يطبعها التعدد اللغوي، وهذا التعدد له جانب يتمثل في اختلاف الألسن بين لغة وطنية رسمية ولغات أجنبية. (الفاسي الفهري، 2007، ص:32). أما جوليت غرمادي فقد جمعت بين ظاهرتي التنوع اللغوي والتعدد اللغوي تحت ما يسمى بالتباين اللساني وأحيانا تسميه بالتلون اللساني. في حين نجد صالح بلعيد

يعرف هذه الظاهرة قائلا: إن التعدد اللغوي هو مجموعة من اللغات المتقاربة أو المتباينة في مجتمع واحد(صالح بلعيد، 2010، ص:224). وحسب لويس جون كالفي فالتعددية اللغوية Plurilinguisme هي قدرة الفرد على استخدام أكثر من لغتين (لويس جان كالفي، 2008، ص: 397).

انطلاقا مما سبق يتضح لنا أن التعدد اللغوي هو ظاهرة اجتماعية إنسانية شائعة منذ القدم، وتشكل خاصية من خصائص المجتمعات المعاصرة، فالشخص متعدد اللغات يستطيع التواصل مع جميع الأفراد ويواجه الشعوب المختلفة، حيث يقال في هذا السياق "من تعلم لغة قومه أمن مكرهم".

2- الوضع اللغوي بالمغرب:

عرف الوضع اللغوي بالمغرب تشعبا وتعقيدا، نتيجة حقب تاريخية عديدة التي مرت عليه، انطلاقا من العرق الأمازيغي (البربر)، ثم التوجدات الأجنبية خلال الفترات الإستعمارية، وكذلك الهجرات المختلفة، وكان كل هذا سببا في ظهور مسألة التعددية اللغوية بالمغرب. فمثلا الاستعمار الفرنسي والإسباني الذي عرفته المدن المغربية خلال أواخر القرن 19م وبداية القرن 20م أثر بشكل كبير على اللغة المغربية وترك بصماته فيها نظرا لبقائه مدة طويلة، وهذا ما أدى إلى بروز ظاهرة التشاحن اللغوي. إضافة إلى هذا فإن الاحتكاك بين اللغات المجاورة، والصراع قائم فيما بينها، ساهم أيضا في تشعب الوضع اللغوي المغربي، وبروز ظاهرتين لغويتين ألا وهما: التعدد اللغوي من جهة، والتنوع اللهجي من جهة ثانية.

أ- اللغة الأمازيغية:

لقد كانت اللغة الأمازيغية اللغة الأم لسكان المغرب الأصليين (الأمازيغ)، وتعد مقوم من المقومات الأساسية للهوية المغربية، فهي لغة وطنية، ولغة رسمية إلى جانب اللغة العربية بالمغرب، ولهذه اللغة نظام خاص بها وقواعدها المتينة من حيث حروفها وتراكيبها...، وتتميز اللغة الأمازيغية بالمغرب بانتشارها في مناطق متعددة، وبكونها لغة مكتوبة وشفهية يتم التواصل بها في الحياة اليومية بين الناطقين بها.

إضافة إلى اللغة الأمازيغية نجد مجموعة من اللهجات المتنوعة في مناطق مختلفة من التراب الوطني المغربي، حيث نجد كل جماعة لغوية ناطقة بلهجة معينة، منها ما يلي:

- **اللهجة الغرباوية:** تتمركز هذه اللهجة في جهة الغرب شراردة بني حسن.
- **اللهجة الريفية:** تتواجد في كل من الحسيمة الناظور وغيرهم.
- **اللهجة السوسية:** هي إحدى اللهجات الأمازيغية الأكثر انتشارا في المغرب الأقصى. وتنتشر هذه اللهجة خصوصا في جهة سوس ماسة درعة في المدن التالية: أكادير، تزنييت، تروذانت ...
- **اللهجة الجبلية:** تتواجد في المناطق الشمالية المغربية، وفي كل من المدن التالية: طنجة، تطوان، شفشاون، وزان... وغيرهم.
- **اللهجة الرباطية:** هي عبارة عن خليط من اللهجة الأندلسية واللهجة الهلالية، وتتواجد بالرباط سلا وغيرهما من المدن.
- **اللهجة الشلحة:** تتمركز هذه اللهجة بكل من تزنييت والصويرة، وكذلك مدن الأطلس المتوسط.
- **اللهجة الحسانية:** هي لهجة صحراوية منتمية للعربية ومرتبطة بها أشد الارتباط، وتنتشر هذه اللهجة في الساقية الحمراء ووادي الذهب وموريتانيا...

عموما، لقد تنوعت اللهجات المغربية وتعددت، لكن ما يلفت الانتباه هو عدم وجود تجانس بين اللهجات الأمازيغية، ويعود ذلك بالدرجة الأولى إلى التوزيع الجغرافي.

ب- اللغة العربية: بشكلها الفصح والعامي.

• اللغة العربية الفصحى

اللغة العربية الفصحى هي اللغة الرسمية في المغرب، حيث كانت ولا تزال تلقن في المدارس والمساجد للكبار والصغار، وهي لغة القرآن الكريم فبفضل الإسلام أصبحت اللغة العربية تحتل الصدارة مقارنة مع باقي اللغات الأخرى. وفي هذا الصدد تحدث يوسف القرضاوي عن مكانة اللغة العربية فقال: "هي

المقوم الأول للقومية، التي هي السند الأول للدين والتراث والعبادة وهي التي تجمع الأمة وتقرب بينهما وتعمل على إزالة ما بينهما من فوارق وفجوات." (محمود عكاشة، 2006، ص:118) إضافة إلى هذا فاللغة العربية هي عنوان هويتنا العربية، واللغة الرسمية المشتركة بين العرب والمسلمين. وتعتبر اللغة العربية الحديثة لغة وسائل الإعلام والخطابات السياسية والأدب المعاصر، ولا يقتصر استعمالها فيما هو رسمي فقط، وإنما قد تكون لغة التخاطب بين المتكلمين.

• اللهجة (العامية):

تتواجد بالمغرب مجموعة من اللهجات المتنوعة، وتعد اللغة الأم للناطقين بها، فهي تستعمل كأداة للتواصل اليومي بين الأفراد، ولكل لغة حية لهجاتها المحلية، وهذه اللهجات تختلف باختلاف المناطق والتوزيع الجغرافي، فالهجة الجهة الشرقية ليست هي لهجة المناطق الشمالية، ولهجة المناطق الجنوبية ليست هي لهجة سكان الغرب، كما يمكن أن نجد الاختلاف اللهجي في الجهة الواحدة. ويطلق على اللهجات تسميات متعددة أهمها: اللغة العامية، اللهجة العامية، الدارجة، الكلام العامي...إلخ.

ومن هنا يتبين لنا أن التنوع اللهجي بالمغرب راجع إلى التأثير بلهجات الحدود الشرقية والجنوبية المجاورة للبلاد، ورغم الاختلاف الحاصل بين لهجات الدول المجاورة، إلا أننا نجد نوعا من التداخل فيما بينهم، والدليل على هذا هو تأثير اللهجة الجزائرية على لهجة سكان المناطق الشرقية (وجدة)، وتأثير لهجة تلمسان باللهجة المغربية، وكذلك تأثر لهجة سكان المناطق الصحراوية بلهجة موريتانيا.

وعليه، فاللهجات العربية المغربية هي اللغة الأم للشعب المغربي، وهي لغة الاندماج الاجتماعي، فبفضلها يندمج ويتفاعل الطفل مع مجتمعه، وبالتالي فهي اللغة الأساسية عند المغاربة.

ت- اللغات الأجنبية:

• اللغة الفرنسية:

لقد انتشرت اللغة الفرنسية في المغرب مع بداية الاحتلال الفرنسي، وكان لها تأثير بالغ على الاستعمالات اللغوية، وشكلت عنصرا أساسيا في الخريطة اللغوية المغربية ليست باعتبارها لغة التدريس كلغة أجنبية أولى، وإنما تستعمل في التواصل اليومي بين بعض الفئات.

يتبين لنا من خلال ما تقدم أن اللغة الفرنسية هي بمثابة عنصرا هاما في التشكيل اللغوي بالمغرب، رغم أنها ليست لغة رسمية ومجرد لغة موروثية من الاستعمار الفرنسي إلا أنها قد استعملت كثيرا من قبل المغاربة في أحاديثهم اليومية وفي الخطابات الرسمية، كما أنها تمكنت من مزاحمة اللغة العربية في المجتمع المغربي.

إن هذه الوضعية اللغوية المركبة والمعقدة قد أفرزتها مجموعة من الظروف التاريخية والسياسية والاجتماعية، وأصبحنا نلمس نوعا من التعايش بين لغات المجتمع المغربي، فالأفراد يستعملون العامية في أحاديثهم اليومية، واللغة العربية الفصحى أو اللغة الفرنسية في الخطابات الرسمية. عموما، فقد أدى كل هذا إلى انتشار ظواهر لغوية اجتماعية، كظاهرة الازدواجية اللغوية، والثنائية اللغوية، والاقتراض اللغوي، والتعدد اللغوي التي تعد الموضوع الأساس لدراستنا.

● اللغة الإسبانية:

لقد دخلت اللغة الإسبانية إلى المغرب خلال فترات الاستعمار الإسباني، وكذلك نتيجة وصول أفواج من المورسكيين إلى المغرب، وبالتالي دخول كلمات ومصطلحات تقنية في لغة المغاربة وحدث تأثير بالغ على الاستعمالات اللغوية، وبهذا أصبحت الألفاظ الإسبانية أكثر انتشارا في مجموعة من المدن المغربية، ومن أبرز الألفاظ الإسبانية المتداولة نجد ما يلي: بابور Babour ، براكا Barraca، بلوزة Blusa، كوتشي Coche، لامبة Lampara .

3- أسباب وعوامل التعدد اللغوي

تعد ظاهرة التعدد اللغوي من أبرز الظواهر اللغوية الاجتماعية السائدة في المجتمعات المتعددة اللغات، فهي لم تظهر صدفة، وإنما هناك مجموعة من

الأسباب التي أدت إلى ذبوع هذه الظاهرة، وهذه الأسباب والعوامل لا تكاد تختلف من مجتمع لآخر خاصة بلدان العالم العربي التي شهدت نفس الأحداث السياسية والظروف التاريخية، ولعل أبرزها نجد على سبيل المثال ما يلي:

■ عامل الاستعمار:

يعد الاستعمار الذي عرفته البلدان العربية خلال القرن الماضي من أبرز الأسباب المؤدية إلى حدوث ظاهرة التعدد اللغوي في العالم العربي عامة والمغرب على وجه الخصوص، لأنه يأتي حاملا لغات أجنبية إلى البلد المستعمر، واحتلاله سنوات طويلة ينجم عنه احتكاكا لغويا، حيث تقوم الدولة المستعمرة بفرض لغتها بقوة في المؤسسات التعليمية والإدارات وغيرهم من المؤسسات، وهكذا يبقى الوضع على هذا الحال حتى الاستقلال، وبالرغم من ذلك تبقى لغة الدولة المستعمرة سائدة في البلد المحتل.

كما هو معلوم فالمغرب قد تعرض للاستعمار الفرنسي والإسباني الذي خلف نتائج جسيمة على جميع المستويات (سياسية، اقتصادية، ثقافية، لغوية...). فعلى المستوى اللغوي عمل المستعمر على محو اللغة الرسمية للبلاد (اللغة العربية)، وفرنسة الشعب المغربي، وفرض لغته في جميع المجالات (التعليم، الصحة...)، وهذا ما شكل صعوبة بالنسبة للمغاربة، وأدى إلى دخول ألفاظ أجنبية إلى المدن المغربية.

■ عامل الهجرة

تعتبر الهجرة سواء أكانت داخل البلد الواحد أو بين البلدان المجاورة من أهم أسباب التعدد اللغوي، لأن الهجرة تحدث نتيجة لأسباب متعددة (سياسية، اقتصادية، اجتماعية، ودينية...)، فالشعوب تهاجر من البلاد الفقيرة نحو البلاد الأكثر غنى بحثا عن العمل. بالإضافة إلى هذا يعد الاضطهاد والقمع السياسي من أبرز الأسباب التي تؤدي إلى نزوح السكان من بلدانهم إلى بلدان أكثر أمنا وأمانا. فالهجرة بجميع أنواعها تؤدي إلى الاحتكاك بين الشعوب المختلفة، فالمهاجرون يتأثرون بلغة البلد المقيمين فيه، فبمرور الزمن يجدون أنفسهم بحكم الإقامة

الدائمة مضطرين إلى الاندماج في الوسط الذي هاجروا إليه وأقاموا فيه بسبب المصالح المشتركة بينهم، ومن هنا تبادلوا ما احتاجوا إليه في لغة البيئة الجديدة. (إبراهيم أنيس، 1996، ص: 115)

أما إذا كان المهاجرون متماسكون بلغتهم الأصلية وثقافتهم وعاداتهم وتقاليدهم، فيمكنهم أن ينشروا لغتهم في البلد المقيمين فيه، خاصة إذا كانت المجموعات المهاجرة بأعداد كبيرة، وهذا ما حدث في اللغة الألمانية التي استعملتها الكثير من الدول المجاورة نتيجة هجرة مجموعة من سكانها إلى سويسرا وتشيكوسلوفاكيا وبولونيا والنمسا.

■ عامل الزواج:

لقد أصبح الزواج بين الأجناس والأعراف المختلفة سببا من أسباب الاحتكاك اللغوي، فمثلا زواج أجنبي من عربية ينتج عنه اكتساب الأطفال لغتين بطريقة مباشرة، فالزواج الخارجي يفرض على أحادي اللسان تلوينات وتباينات لسانية، وهنا يجد نفسه أمام تعددية لغوية أو أمام ثنائية لغوية.

إن ما يميز هذا العامل عن باقي العوامل هو محدودية تأثير هذا العامل في المجتمع، لأن هذا العامل قد ينتج عنه تعددية لغوية فردية أي داخل الأسرة فقط، وفي بعض الأحيان تنتج عنه تعددية لغوية داخل المجتمع.

■ عامل تربوي تعليمي

لقد أضحى التعددية اللغوية مسألة مركزية في المنظومة التربوية، لأن المدارس المغربية أصبحت تعتمد على مجموعة من المصطلحات الأجنبية في مجموعة من المواد العلمية (الرياضيات، الفيزياء، علوم الحياة والأرض)، والأكثر من ذلك ومع تطبيق مقتضيات الرؤية الاستراتيجية 2015-2030 ظهر ما يسمى بالبيكالوريا الدولية التي يتم فيها تدريس المواد العلمية باللغة الأجنبية الأولى (الفرنسية)، كما سيتم في المدى القريب تدريس جميع المواد العلمية باللغة الفرنسية في جميع المستويات. إضافة إلى هذا فمجموعة من المعاهد العلمية والتقنية تعتمد في تدريسها على اللغات الأجنبية، فهذا الأمر لا ينطبق على المغرب فقد بل معظم بلدان المغرب العربي تعيش هذا الوضع اللغوي.

ومعنى هذا فالمدرس ينبغي أن يكون متقنا لأكثر من لغة ويكون مخزونه اللغوي غنيا حتى يتمكن من استيعاب المعلومات التي تقدم له بمختلف اللغات.

■ عامل اللغة نفسها:

إن اللغة هي أداة للتواصل بين أفراد المجتمع، وهي ظاهرة اجتماعية بامتياز، وتتميز بقابليتها للانتشار والانتقال بين الأجيال. وخلال مسارها تطراً عليها عدة تغيرات، فقد تحذف ألفاظ وتضاف أخرى جديدة، وقد تتبدل دلالة ألفاظها من معنى لآخر، وقد تتفرع اللغة إلى عدة لهجات أو مجموعات كلامية.

■ عامل المجتمع:

تعتبر اللغة كائن اجتماعي، تتأثر بالمجتمع الذي نشأت فيه، وتتطور بتطوره وتنحط بانحطاطه. فاللغة هي ما يجسد اجتماعية الإنسان، وهذا التجسيد يتجلى بشكل جلي في الارتباطات والعلاقات اللغوية بين المجتمعات. كما تعد الطبقات الاجتماعية من العوامل الأساسية التي تؤثر في تباين اللغة داخل المجتمع، لأن فضلها تنشأ لهجات متعددة، وتكون لكل طبقة اجتماعية لهجتها الخاصة، فلغة سكان الجنوب ليست هي لغة سكان الشرق، ولغة الطبقة البرجوازية ليست هي لغة الطبقة البروليتارية، ولغة الفئة المثقفة ليست هي لغة الفئة الأمية، ولغة الطبيب ليست هي لغة المعلم...إلخ.

بالإضافة إلى هذا فقد يؤثر المسكن أيضا على تطور اللغات، فكلما كان السكان متفرقين كلما انقسمت اللغة إلى لهجات، وكلما كان السكان مجتمعين كلما كانت اللغات مشتركة، وهذا ما فسره إبراهيم أنيس بالعزلة أو الانعزال بين الشعب الواحد قائلا: " فحين نتصور لغة من اللغات قد اتسعت رقعتها، وفصل بين أجزاء أراضيها عوامل جغرافية، أو اجتماعية، نستطيع الحكم على إمكان تشعب هذه اللغة الواحدة إلى لهجات عدة، فقد تفصل جبال أو أنهار أو صحاري أو نحو ذلك، بين بيئات اللغة الواحدة، ويترتب عن هذا الانفصال قلة الاحتكاك بين أبناء الشعب الواحد بعضهم ببعض، أو انعزالهم بعضهم عن بعض". (إبراهيم أنيس، ط 3،

ص: 20)

وعليه نستنتج أن التعدد اللغوي ظاهرة لغوية عويصة لم تسلم منها أية لغة من اللغات البشرية، وتنوعت لتتوزع أسباب حدوثها، فالمتكلم في حاجة دائمة إلى تعدد اللغات بغية التعبير عن أغراضه، والسعي إلى تلبيتها، لأن اللغة هي وسيلة تواصلية اجتماعية بامتياز، فبواسطتها يعبر الفرد عن أغراضه ويستطيع حل مشكلاته وتمنحه فرصة التعلم والبحث عن المعرفة والإطلاع على الثقافات الأخرى.

4- مظاهر التعدد اللغوي بالمغرب:

إذا أعدنا النظر في الواقع اللغوي المغربي نجد أن ظاهرة التعدد اللغوي قد اتخذت بعض الأشكال والمظاهر، فالشكل الأول هو الازدواجية اللغوية، والشكل الثاني هو الثنائية اللغوية، والشكل الأخير هو الاقتراض اللغوي أو ما يعرف بالدخيل.

وسنعرض فيما يلي تعاريف لهذه الظواهر اللغوية ومدى حضورها في الواقع اللغوي المغربي.

أ- الازدواجية اللغوية (Diglossie) :

إن الازدواجية باعتبارها ظاهرة لغوية يمكن الحديث عن نشأتها من زاويتين، الأولى ينظر فيها إلى الازدواجية بوصفها ظاهرة لغوية رافقت اللغة منذ نشأتها الأولى، ومن الزاوية الثانية ينظر إليها بوصفها مفهوما لغويا بدأ يظهر في دراسات اللغويين العربيين والغربيين، وهذه الدراسات لم تتخذ شكلا علميا إلا في عهد قريب مع اللساني فرجسون في مقالته الشهيرة عن الازدواجية **Diglossia** سنة 1959م، فقد كان له فضل السبق في استخدام مصطلح الازدواجية والبحث في هذه الظاهرة، ثم ما لبث أن شاعت بين علماء اللسانيات الاجتماعية.

ولقد عرف فرجسون "ازدواجية اللغة على أنها وضع لغوي ثابت نسبيا يكون فيه-بالإضافة إلى لهجات اللغة (والتي قد تشمل لهجة معيارية أو لهجات معيارية إقليمية)- نوع من اللهجات مختلف اختلافا كبيرا عن غيره من الأنواع ومنظم أو

مصنف للغاية..." (صالح إبراهيم الفلاي، 1996، ص: 21).

وعرفه فرجسون أيضا الازدواج اللهجي على النحو التالي:

"الديجلوسيا أو الازدواج اللهجي موقف لغوي ثابت نسبيا توجد فيه بالإضافة إلى اللهجات الأساسية للغة بعينها (والتي قد تتضمن لهجة متواضعا عليها، أو لهجات إقليمية متواضعا عليها) نوعية أخرى مختلفة صارمة من ناحية التقنين (وهي غالبا ما تكون أكثر تعقيدا من ناحية قواعدها النحوية). هذه النوعية غالبا ما تكون مفروضة من جهة عليا، وهي أيضا لغة الكتابة الأساسية في الأدب ولغة التراث وربما لغة لجماعة كلامية في الماضي، وهذه النوعية يدرسها ويتعلمها الناس من خلال النظام التعليمي الرسمي للبلاد. وهي تستخدم في جميع المواقف والأغراض الرسمية المنطوق منها والمكتوب، ولكنها ليست مستخدمة في أي قطاع من قطاعات المجتمع لتجاذب أطراف الحديث اليومي والعادي." (هدسون، 1990، ص: 90)

ويعرف أندريه مارتينه الازدواجية اللغوية "بأنها موقف لغوي اجتماعي، تتنافس فيه لهجتان لكل منهما وضع اجتماعي وثقافي مختلف، فتكون الأولى شكلا لغويا مكتسبا ومستخدما في الحياة اليومية، وتكون الثانية لسانا يفرض استخدامه في بعض الظروف، الممسكون بزمام السلطة." (أندريه مارتينه، 1990، ص: 24)

وتبدو ظاهرة الازدواجية اللغوية ومظاهرها في المجتمع العربي انعكاسا للانقسام الذي خلفته السلطات الاستعمارية في الحياة العربية، فاللغة الفرنسية مثلا أصبحت لغة حية في كل دول المغرب العربي، فهي تستعمل بالموازاة مع اللغة العربية رغم عدم اعتراف الدستور بها.

رغم اختلاف التعاريف المقدمة للازدواجية اللغوية إلا أن الباحثين يتفقون على أن مفهوم الازدواجية مرهون باستعمال لغتين متميزتان، أي أن الازدواجية هي وضعية لغوية يتناوب فيها المتكلم على نظامين لغويين مختلفين، وهي ظاهرة منتشرة بكثرة في المجتمعات.

وعليه، فالازدواجية اللغوية تنوعا لسانيا ضمن اللغة الواحدة حيث تبرز الفصحى والعامية، فتخصص الفصحى للاستخدام الرسمي باعتبارها لغة معيار،

وتخصص العامية للاستخدام العادي اليومي، وهي حالة مستقرة نسبياً، لكنها قد تخلق صراعاً بين المستويين، وقد يتحول تدريجياً إلى مشكل يهدد اللغة المعيار .

ب- الثنائية اللغوية (Bilinguisme):

لقد حظيت ظاهرة الثنائية اللغوية باهتمام كبير من قبل الباحثين واللغويين، خاصة علماء اللسانيات الاجتماعية، الذين قدموا تعريفات متعددة لهذه الظاهرة، ومن أهمها نجد ما يلي:

عرفها **صالح إبراهيم فلاي** قائلاً: "كلمة ثنائية تحمل معنى وجود أكثر من شكل من الأشكال اللغوية والتي ليست بالضرورة مزدوجة،... أما ثنائية اللغة فإنها تشير إلى وجود خيار للمتحدث ذي ثنائية اللغة باستخدام إحدى اللغتين في مواضع معينة." (صالح إبراهيم الفلاي، 1996، ص: 82) لقد ركز الدكتور **صالح إبراهيم الفلاي** على ضرورة وجود أكثر من نوع لغوي داخل المجتمع الواحد، ففي ثنائية اللغة للفرد حرية الاختيار بين نوعين لغويين.

وقد ذهب **أندري مارتيني André Martini** إلى تعريف الثنائية اللغوية قائلاً: "إنها وضعية لغوية تستعمل فيها لغة قوية ولغة عامية". (أندريه مارتيني، 1970، ص: 148)

أما **ميشال زكرياء** فقد حدد مفهوم الثنائية اللغوية قائلاً: "الثنائية اللغوية هي الوضع اللغوي لشخص ما أو جماعة بشرية معينة تتقن لغتين، وذلك من دون أن تكون لدى أفرادها قدرة كلامية متميزة في لغة أكثر مما هي في اللغة الأخرى." (ميشال زكرياء، 1993، ص: 35)

ونجد أيضاً **لويس جان كالفى** الذي عرفها في كتابه "حرب اللغات والسياسات اللغوية" قائلاً: هي قدرة الفرد على استخدام لغتين. وهي ما يدخل في باب اللسانيات النفسية. وهذه الثنائية ثنائية لغوية فردية، أي هي ثنائية عند الفرد الواحد. (لويس جان كالفى، 2008، ص: 394) انطلاقاً من هذا التعريف نستنتج أن الثنائية اللغوية عند **لويس جان كالفى** مرتبطة بقدرات الفرد. إذن، ومن خلال هذه التعاريف نستنتج أن وجود الثنائية اللغوية داخل المجتمع الواحد يقتضي وجود

لغتان مختلفتان، ومعنى هذا أن الثنائية اللغوية هي الوضع اللغوي الذي تكون فيه لغتين، تسمى الأولى "اللغة الأم"، وتسمى الثانية "اللغة الثانية".

ت- الاقتراض اللغوي:

إن ظاهرة الاقتراض اللغوي عند بعض الباحثين هي إدخال أو استعارة ألفاظ من لغة إلى أخرى، أو بصيغة أخرى هو العملية التي يأخذ فيها معجم لغوي من عناصر معجم لغوي آخر. ومعنى الاقتراض اللغوي عند إبراهيم أنيس: "فما يسمى باقتراض الألفاظ ليس في الحقيقة إلا نوعا من التقليد مثله كمثل تقليد الطفل لغة أبويه أو الكبار حوله، وغير أنه تقليد جزئي يقتصر على عناصر خاصة، في حين أن تقليد الطفل للغة أهله تقليد كلي يتناول كل ما يسمع من الألفاظ." (إبراهيم أنيس، 1996، ص: 102)

وقد استعمل أهل اللغات لفظ الاقتراض والإدخال والاستعارة وأطلقوها على الألفاظ المقترضة على لغتهم. أما العرب أطلقوا على الألفاظ المقترضة لفظ الدخيل والتعريب والمعرب والمولد.

وجاء في معجم المصطلحات العلمية أن الاقتراض اللغوي هو إدخال عناصر من لغة ما إلى لغة أخرى، سواء أكانت تلك العناصر كلمات أو أصواتا أو صيغا. وفي هذا الإطار نجد محمد علي الخولي قد فرق بين الدخيل اللغوي والاقتراض اللغوي إذ قال "بأن الأول هو تدخل لغة ما في لغة أخرى عند الفرد الذي يعرف كلتا اللغتين، وأما الثاني هو استعمال المتكلم بلغة ما كلمة من لغة أخرى." (محمد عفيف الدين، 2010، ص: 184-185)

أما مارتنى فقد عرف الاقتراض أو التداخل اللغوي على أنه: "الحالة التي يستعمل فيها مزودج اللغة في لغة المتن صفة صوتية صرفية أو تركيبية، خاصة بلغة أخرى، وتظهر على جميع مستويات اللغات المحكّمة." (أندريه مارتييه، 1970، ص: 3)

ويعرف ماريو بي Mario Pei ظاهرة الاقتراض بين اللغات بأنها: العملية التي تمتص بها لغة ما ألفاظا وتعبيرات، وربما أيضا أصواتا وأشكالا قواعدية

من لغة أخرى، وتكيفها في استخدامها، مع أو بدون تكيف صوتي ودلالي." (كمال محمد جاه الله، 2007، ص: 7)

5- انعكاسات التعدد اللغوي على العملية التعليمية-التعليمية

إن ظاهرة التعدد اللغوي تختلف من بلد لآخر، ففي بعض البلدان خلفت آثارا إيجابية، وهذا ما نلاحظه في البلدان المتقدمة، حيث ساهم في التفاهم بين المجموعات اللغوية والمعرفة المتزايدة فيما بينها. ويقول الباحث أوفيليا غارسيا في هذا السياق: "التربية الثنائية اللغة والمتعددة اللغة عي في الحقيقة تربية صحيحة متعددة الثقافة، تتجاوز التعبير عن الأحاسيس الإيجابية، لتمنح الناس وسيلة حالية وهي الثنائية اللغوية لخلق معرفة وتفاهم كبيرين". (أوفيليا غارسيا، ص: 877) أما بلدان المغرب العربي عامة والمغرب على وجه الخصوص فقد خلفت هذه الظاهرة آثارا سلبية، وعجزا عن التواصل بين سكان مختلف المناطق داخل البلد الواحد. ومن أهم مخلفات هذه الظاهرة اللغوية نجد ما يلي:

أ- الصراع اللغوي:

لقد خلفت ظاهرة التعدد اللغوي في المجتمع المغربي صراعا لغويا قويا بين اللغات، بين العربية المعيار واللغة الفرنسية من جهة، وبين اللغة العربية واللهجات من جهة ثانية، وهذا ما جعل اللغة العربية تواجه صراعا مع عدة لغات أجنبية في البلدان العربية، فمثلا في بلدان الخليج يحدث صراعا بين اللغة العربية واللغة الإنجليزية، أما في بلدان المغرب العربي كالمغرب والجزائر يحصل صراعا قويا بين اللغة العربية واللغة الفرنسية. إضافة إلى هذا الصراع بين اللغات الرسمية، نجد نوع آخر من الصراع اللغوي الذي لا تخلو منه أية دولة أو مجتمع، وهو صراع بين العامية (اللهجة) واللغة الفصحى.

إن هذا الصراع التي تعيشه اللغة العربية مع اللغات الأجنبية واللهجات العامية هو صراع مرير، ينعكس سلبا على اللغة العربية الفصحى التي أصبحت شبه غائبة في الخطابات الاجتماعية، ولم تعد تحظى هذه اللغة باهتمام كبير ومكانة عظيمة، كما كانت عليه في العصور القديمة مع العرب القدماء الذين كانوا يهتمون باللغة العربية لأنها اللغة التي نزل بها القرآن الكريم. أما في

العصر الحديث فقد ضعف الاهتمام باللغة العربية وانصب الاهتمام على اللغات الأجنبية والميل إلى التباهي بها.

عموما فالصراع اللغوي في المغرب أدى إلى فقدان اللغة العربية لمكانتها المرموقة التي كانت تحظى بها مع القدماء، وساهم في ظهور خليط من اللهجات المتنوعة والألفاظ الهجينة وجعلها لغة للتواصل الاجتماعي.

ب- التداخل اللغوي:

إن التعدد اللغوي في المغرب بصفة خاصة، وبلدان المغرب العربي بصفة عامة قد خلق تداخلا لغويا، وهذا التداخل وقع على جميع المستويات التحليلية للغة العربية، معجميا وتركيبيا وصوتيا وداليا.

✚ المستوى المعجمي:

يعد التداخل اللغوي على المستوى المعجمي من أكثر التداخلات حضورا في جل اللغات منذ القدم، وخير مثال على ذلك اللغة العربية القديمة من العصر الجاهلي حتى صدر الإسلام قد استعارت مجموعة من الألفاظ من اللغة الفارسية والحبشية... وغيرهم من اللغات.

وقد عرفت هذه الظاهرة في العصر الحديث بالاقتراض اللغوي، ولعل أبرز هذه الألفاظ نجد مايلي:

اللفظ	لغته الأصلية	رسمه في لغته الأصلية
تراكتور	إنجليزية	Tractor
طاكسي	إنجليزية	Taxi
صالون	فرنسية	Le salon
موضة	إيطالية	La mode
بروتوكول	فرنسية	Protocole
مونديال	فرنسية	Mondial
الراديو	إنجليزية	Radio

✚ المستوى التركيبي:

يظهر التداخل اللغوي على المستوى التركيبي بصورة واضحة لدى المتعلمين، حيث أصبحنا نلاحظ في اللغة العربية ظهور أنماط جديدة ناتجة عن تداخل النمطين الفرنسي والعربي على مستوى تراكيب الجمل، وخير مثال على ذلك الصيغة التالية: ممنوع المرور، التي تم فيها تقديم الخبر على المبتدأ في حالة وجوب تقديم المبتدأ على الخبر، فتكون الصيغة الصحيحة: المرور ممنوع، فهذا النمط تم أخذه من الصيغة الفرنسية.

✚ المستوى الصوتي:

يتميز الخطاب التواصلية المغربي بوجود أصوات كثيرة، والتي تبدوا أنها عربية فصيحة لكن هي في الأصل لا تنتمي إلى الفصح بتاتا، وخير مثال على ذلك حرف "ق" الذي يكون بديلا في بعض الأحيان بديلا للحرف "ق" فنقول: قال بدلا من قال. إضافة إلى حرف "ق" نجد حروف أخرى ك: "ث" و "ب" ليست من حروف اللغة العربية، بل هي حروف دخيلة على الكلام العربي بصفة عامة، وعلى الكلام الدارج بصفة خاصة.

✚ المستوى الدلالي:

لقد خلقت مسألة التعدد اللغوي في المغرب لبسا على مستوى الدلالة، وهذا اللبس كان نتيجة الهجرة من مكان لآخر، فمثلا هجرة ريفي من قريته الأصلية إلى مدينة من المدن أو إلى قرية أخرى، سيحتاج من الناحية اللسانية إلى بذل جهد كبير للتمكن من التواصل في الوسط اللغوي الجديد. كما خلق هذا اللبس الدلالي الكثير من سوء الفهم في العمليات التواصلية، سواء في العمليات التعليمية- التعليمية أو الحديث اليومي بين أفراد المجتمع، وخير مثال على هذا: هو استخدام المدرس للهجات المحلية واللغات الأجنبية، فعدم التزامه باللغة العربية الفصحى يؤدي لا محال إلى سوء الفهم والغموض بالنسبة للمتعلم الذي يسكن منطقة غير المنطقة التي نشأ فيها.

خاتمة:

من خلال هذا البحث الموجز نلاحظ تفشي ظاهرة التعدد اللغوي بشكل لافت للنظر، وقد أثرت بشكل سلبي على العمليات التواصلية الاجتماعية وكذا التواصل

في السياقات التعليمية-التعليمية. وقد توصلت هذه الدراسة إلى مجموعة من النتائج يمكن حصرها على النحو الآتي:

- التعدد اللغوي ظاهرة طبيعية لا يكاد يخلو منها أي مجتمع ما دامت اللغات تمارس فعل التأثير والتأثر فيما بينها.
- ظاهرة التعدد اللغوي حاضرة بقوة داخل المؤسسات التعليمية، وفي أوساط المتعلمين والمعلمين على حد سواء.
- التعدد اللغوي يجعل المتعلم يستخدم أنماط لغوية متعددة (اللغة الأم، اللغات الأجنبية...). وهذا ما ينعكس سلبا على اللغة العربية الفصيحة ويساهم في ضعفها وانحطاطها وتدهورها، وينتج عن هذا مستقبلا جيلا ضعيف اللغة.
- ظاهرة التعدد اللغوي تؤثر على المتعلم، وقد تجلى هذا الأمر بشكل واضح في إجابات المتعلمين، مما جعل البعض يأخذ موقفا سلبيا اتجاه تعلم اللغات، والبعض الآخر يأخذ موقفا إيجابيا، وهذا سيقوم بالتأثير على العملية التعليمية-التعليمية.

الهوامش:

- 1- الفاسي الفهري، حوار اللغة، إعداد حافيظ الإسماعيلي العلوي، ط 1، 2007، منشورات زاوية، دار أبي رقرق للطباعة والنشر، الرباط، ص: 32.
- 2- صالح بلعيد، في الأمن اللغوي، دار هومة، الجزائر، 2010، ص: 224.
- 3- لويس جان كالفي، حرب اللغات والسياسات اللغوية، ت: حسن حمزة، مركز دراسات الوحدة العربية للتوزيع، ط 1، 2008، بيروت، ص: 397.
- 4- محمود عكاشة، علم اللغة مدخل نظري في اللغة العربية، ط 1، القاهرة 2006، دار النشر للجامعات، ص: 118.
- 5- إبراهيم أنيس، أسرار اللغة، مكتبة الأنجلو المصرية، ط 3، 1996م، ص: 115.
- 6- إبراهيم أنيس، في اللهجات العربية، الطبعة الثالثة، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ص: 20.
- 7- صالح إبراهيم الفلاي، ازدواجية اللغة النظرية والتطبيق، مكتبة الملك فهد الوطنية للنشر، الرياض، الطبعة الأولى، 1996، ص: 21.
- 8- هدسون، علم اللغة الاجتماعي، ت: محمد عياد، الطبعة 2، عالم الكتب للنشر، 1990، القاهرة، ص: 90.
- 9- أندريه مارتينه، الثنائية الألسنية والازدواجية الألسنية، دعوة إلى رؤية دينامية للواقع، ترجمة نادر سراج، مجلة العرب والفكر العالمي، العدد 11، 1990م، مركز الإنماء القومي، بيروت، ص: 24.
- 10- صالح إبراهيم فلاي، ازدواجية اللغة: النظرية والتطبيق، ط 1، فهرسة الملك فهد الوطنية، 1996، ص: 82.
- 11- André Martini : « éléments de linguistique générale » volume 34 , collection armed colin, paris, 1970, p : 148.
- 12- ميشال زكرياء، قضايا ألسنية تطبيقية، دار العلم للملايين، بيروت- لبنان، ط 1، يناير 1993، ص: 35.
- 13- لويس جان كالفي، حرب اللغات والسياسات اللغوية، ترجمة حسن حمزة، ط 1، بيروت 2008، مركز دراسات الوحدة العربية للتوزيع، ص: 394.
- 14- إبراهيم أنيس، أسرار اللغة، مكتبة الأنجلو المصرية، ط 3، 1996م، ص: 102.
- 15- محمد عفيف الدين، محاضرة في علم اللغة الاجتماعية، سورايبا، دار العلوم اللغوية 2010م، ص: 184-185.
- 16- André martinet, Eléments de linguistique générale, libraire colin, paris, (1970), p : 3.
- 17- كمال محمد جاه الله- مبارك محمد عبد المولى، ظاهرة الاقتراض بين اللغات الألفاظ العربية المقترضة في لغة الفور نموذجاً، دار جامعة إفريقيا العالمية للطباعة، 2007، ص: 7.

18- أوفيليا غارسيا، التربية الثنائية اللغة، دليل السوسيو لسانيات، تحرير/ فلوريان كولماس، ص: 877.